تطور الحكمة في العصر المملوكي

إعداد: الأستاذ المشرف: الدكتور فرهاد ديوسالار بجامعة آزاد الإسلامية في كرج ،

و زهرا داود نجاد خريجة مرحلة الماجستير بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، كرج، ايران.

الملخص

العلم هو المعرفة و الاطلاع عن كنه واسرار ما تعجب معرفته والحكمة هى أن توضع المعلومات في مكانها و مقامها المناسب، وكل حكيم عالم، وليس كل عالم حكيما، و الحكمة في الشعر هي ذروة الأدب وقمة ما تجود به القريحة و عرف بعض الشعراء بمنظوماتهم الحكيمة و المتنبي و المعري و ابن الوردي، وهذا البحث يدور حول ماجادت به قريحة ابن الوردي من الأشعار في مضمار الحكمة .

الكلمات الدليلة: الحكمة، البديع، العصر المملوكي؛ الشعر، الأدب.

أن مفردة « الحكمة» تشير إلى مفهوم « وضع الشيء في موضعه» أو « صواب الأمر» إلا أن مبادئها تختلف، كما أن مجالاتها تتعدد. وهذا هو ما نفهمه.

من «الحمكة» لغويا أو هو الفهم اللغوي لها ويتضحمعناها العرفي من خلال معرفة: هل هي محتوى ومضمون؟ أم هي الأسلوب و طريقة؟ و بالرجوع إلى بعض التفاسير وجد أنها حاولت أن تجعل من الحكمة مضمونا للدعوة و متعلقالها يتمثلا نبا الأمر بالحسن والنهي عن القبيح ، أو بالإتيان بالآيات القرآنية في مقام الدعوة، ان بإقامة الأدلة على الحق و هي مما لاتنسجم على أن تكون محتوى ومضمونا.

إنّ البديع كان موجوداً في الأدب العرب منذ البدايات الأولى، وإستمر هذا الوجود قروناً طويلةً إستمرار مسيرة الأدب العربي، ولكنّه قد إختلف من عصر إلى عصر، ثمّ تطوّر تدريجاً بحكم التعمّق في الحضارة والثقافات الأجنبية وبتعرّب الموالي وتمكّنهم في اللغة العربية وآدابها.

إنّ العصر المملوكي كان من عصور البديع، ولم يعد يستحسن الشّعر والنثر إلّا بقدر ما فيهما من فنون بديعية، ولأنّ الشاعر والأديب إنّما يتوجّهان بالشّعر والنثر إلى ابناء عصرهما، ويشار إليهما بالبنان. ولقد صدق طه حسين عندما قال: «الشاعر ليس شاعراً لأنه يقول فيحسن، وإنّما هو شاعر لأن قوله الحسن هذا يمثل عواطف الذين يسمعونه ويقرؤونه، يرضيهم ويقع من نفوسهم موقع الإعجاب ولم يرضَك البيت من الشعر إلّا لأنّه يؤافق هوى في نفسك، ويلئم عاطفة من عواطف، ويرضي حاجة من حاجاتك إلى الجمال».[طه حسين، بک، حديث الأربعاء، ج٢، ص٥٢-٥٣]

و من الضرورى أيضا أن نضيف دور أهل العصر المملوكى أنفسهم الذين عنوا بجمع آدابهم شعراً و نثراً في دواوين وكتب بلغت المئات، وذلک لأنهم كانوا يضعون أنفسهم على قدم المساداة مع كبار شعراء العربية وأدبائها على مدى العصور، وكانوا يفضّلون أحياناً بعض رجالاتهم عليهم.

«نهض الشعراء بشعرهم موازين موازات كثيرة بين معانيهم ومعاني القدماء، وبين أساليبهم المولدة والأساليب الموروثة نافذين إلى ماسموه بالبديع إنّ الأنواع البلاغية ثمانية عشر، جعلها في قسمين: قسم سمّاه البديع، وضم الإستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي، وقسم ثانٍ سمّاه محاسن الكلام، وجمع فيه الإلتفات وإعتراض كلام في كلام يتمّ معناه والرجوع والخروج من معنى إلى معنى وتأكيد المدح بمايشبه الذم

وتجاهل العارف و هزل يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والإفراط في الصفة وحسن التشبيه واعنات الشاعر نفسه في القوافي وحسن الإبتداءات، وهكذا صار كل خلف يزيد على عدد الفنون البلاغية التي وصل إليها سلفه، حتّى وصل العدد في القرن السابع الهجرى إلى نحو خمسة وعشر ينومئة،» [ابن المعتز، كتاب البديع ، تحقيق: إغناطيوس كراتشوفسكى ، ص١٩ و ٥٥ و٧٤.] «نجد فيها الصور البيانية والكثير من فروع علم المعانى بالإضافة إلى فنون علم البديع، وكان المسألة تحوّلت إلى تكاثر بالأرقام».[ابن المعتز، كتاب البديع ، تحقيق: إغناطيوس كراتشوفسكى ، ص٣٨٥.] «ثمّ إبتدع «صفي الدين الحلي أو ابن جابر الأندلسى فن البديعيات النبوية» [الجمال، أحمد صادق، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، ص١٢١-١٢٥ .] «فبلغ عدد الفنون في بديعية الكافية البديعية لصفي الدين الحلّي – و هو معاصر لابن الوردى — وإستمر صعوداً لدى ابن حجة الحوي في خزانته وغيره».[الحموي ، ابن الحجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص. ٤٧٠-٤٦٩]

«إنّ البديع كان موجوداً في الأدب العرب منذ البدايات الأولى،وإستمر هذا الوجود قروناً طويلةً إستمرار مسيرة الأدب العربي، ولكنّه قد إختلف من عصر إلى عصر، ثمّ تطوّر تدريجاً بحكم التعمّق في الحضارة والثقافات الأجنبية وبتعرّب الموالي وتمكّنهم في اللغة العربية وآدابها».[الحموي ، ابن الحجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص٥٨ .]

أما المديح فقد كان من أهم أصحاب البديعات يفعلون إلى النهج البوصيري والنظم على نمط البردة. وقد إلتزموا أن يضمنّوا كلّ بين من أبيات البديعية ضرباً من ضروب البديع، وزاد عز الدين الموصلي هذا إلتزام بأنّ إلتزام التورية بكلمة ما عن إسم الضرب البديعى المضمن.

وقد نظم بعض الأدباء فيما بعد، بديعيات لم يلتزموا فيها بحر البردة ورويها وغرضها، وهذا في رأينا إنحراف عن الشروط الأولى للبديعية، وخروج بها عن جادتها الأصلية.

«منذ ظهور الإسلام وبعثة النبي ﷺ، تمسكون الكثير من الشعراء بالزهد في الدنيا وبشخص النبي ﷺ فيمدحونه ويذكرون سيرته منذ الولادة والبعثة والهجرة وغزواته ومعجزاته وصحابته والشوق إلي تلك الأيام والأماكن المقدّسة، وشرف القرآن العظيم». [فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربى، ج٣، ص ٨٨٦.]

ومن أصحاب البديعيات: صفي الدين الحلي (٧٥٠ هـ)، وابن الجابر الأندلسى الضرير (٧٨٠ هـ)، وعزّ الدين الموصلي (٧٨٩ هـ)، وتقي الدين بن حجة الحموي (٨٣٧ هـ)، وشرف الدين بن المقري اليمني (٨٣٧ هـ)، وتاج الدين بن عربشاه (٩٠١ هـ)، والجلال السيوطي (٩١١ هـ)، وعائشة الباعونية (٩٣٠ هـ)، وعبدالغنى النابلسي (١١٤٣ هـ) ومبتكر فن البديعيات، صفي الدين الحلّي.

وابن نباته نفسه، و هو أكبر شاعر، وله نفس طويل في الشّعر أصابه تقليد العصر. إنّ شعراء العصر المملوكي قادرون ولا شك على إنشاء القصائد الطوال لو وجدوا الحافز على ذلك، ولنا من (البوصيري) ما يؤيد ما نقول، فحبه الرسول ﷺ دفعه إلى انشاء القصائد الطوال،ومنها: (البردة) و (الهمزية) و (ذخر المعاد).

ولقيت قصيدة كعب التي شرفت بسماع النبي ﷺ لها أكبر العناية من الروّاة والنّقاد ودارسى الأدب، وما زالت محل العناية حتى بلغت القرن السابع الهجرى، وجدنا شعراء كثيرين يعارضونها، ويسيرون على نهجها من تصدير القصائد بالغزل، ثمّ مدح النبي ﷺوظهر في هذا العصر البوصيري فقال الشعر ونبغ فيه ولزم طريقة الصوفية وكان أن إتّجه إلى معارضة كعب، أو إتباع مذهبه في مدح النبي ﷺ، وله قصيدة سمّاها: (ذخر المعاد وزن بانت سعاد) وكان أن تسمّى تلك القصيدة (البردة) لأنّها على وزن (بانت سعاد) لكعب بن زهير وتتّفق معها في القافية وحركة الروى، ولأن بعض الأدباء أُطلق على قصيدة كعب البردة، لكن البوصيري أو الصوفية في عهده وبعده أطلقوا على ميمية البوصيري (البردة).

و هي من نفس الوزن (بحر البسيط) إلا أنّها تختلف عن قصيدة كعب في القافية، وبردة كعب ليس هنا مجال الحديث عنها، ولكنّي بصدد القصيدة التي عارض بها البوصيري كعباً، وإتّفق معه في البحر والقافية وحركة الروي، وحدد مفهومها ونهجهما فدعاها كما ذكرناها (ذخر المعاد في وزن بانت سعاد) وذكر منها كعب بن زهير متواضعاً له، متحدّثاً عن ذخر المعاد، وشرفها بمدح خير العباد.

الحكمة

الحكمة: قال عنها اللغويّون: «والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم والعلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها ولهذا إنقسمت إلي علميّة وعمليّة، ويقال: هي القوة العقليّة العلميّة وهذه هى الحكمة الالهيّة». [الزبيدى، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، محقق شيرى، على، ماده حكم] وأنّ لها معنيين رئيسيّين: المعنى الاول: المنع، والمعنى الثاني : الإستحكام و إرتباطها مع هذين المعنيين هو أنها مانعة من الجهل والأخلاق المذمومة وتطلق على العلم الخالى من الخلل والمحكم الّذي لايقبل الخطأ مطلقاً.

الحكمة في الجاهلية لم تكن ذلک العلم الواضح المعالم المحدّد الحدود والمستند إلى قواعد وأصول وإنّما هي عبارة عن شدرات من الأقوال المأثورة والآراء الصحيحة والمقبولة في زمانها فيما لايكون بعضها كذلک في تالي الأزمنة ومن القائلين فيها بشامة خال زهير الذي أخذ عنه زهير، الشّعر والحكمة والرضاعة، وطرفة، وإكتملت في صدر الإسلام نظريّاً من خلال القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ والإمام على عليه السلام وعمليّاً من خلال سيرته ﷺ الممتدة ٢٣ عاماً من عمر الرسالة وسيرة الإمام على عليه السلام كأحسن مايكون.

و أما الحكمة في العصر العباسى لم يختلف حالها عمّا كانت عليه عصرَ حكم الأمويين فإنحرف العباسيين من جادّة الحقّ ليس أقلّ من إنحراف الأمويين. وإنتقلت مسؤوليتها إلى التيّارات العقلية، والمذهبيّة،والمجادلات الكلاميّة،وإلى علاجات المحن والشدائد الإقتصادية والسياسيّة والإجتماعيّة.

الحكمة في الشّعر هي ذروة الأدب وقمّة ما تجود به القرية وعرف بعض الشعراء بمنظوماتهم الحكمية ومنهم المتنبي والمعرّى وابن الوردى.

«أما في عصر ما بعد سقوط بغداد فلم تتطوّر الحكمة إلى أكثر مما بلغتهُ عصرَ حكم العباسيين كما أنّها لم تنحسر حين ظلّت تحتفظ بوجود لم يعبّر عنه بمؤلّفات وتطبيقات خاصّة ونوعيّة وإنّما تمثل في حركة تأليف كان أفضل ردّ على ماخسرته المكتبات بهمجيّة المغول وهو يعبّر تعبيراً كبيراً عن مفهوم الحكمة في التطبيق والتجسيد. لم يغفلها الشعراء لينظموا فيها الكثير في كميّته والمتفاوت جودة ورداءة في نوعيّته والبوصيري ينقل القرآن من الغرض الذي أنزل لأجله، وهو تهذيب النفوس، وتثقيفا لعقول، إلى غرض ضئيل، هو إتخاذه وردامن أورد الصباح أو المساء، كما فعل المتأخرون ولا ننسى أنّ البوصيري كان من أئمة المتصوفة وهو قال:

وَخَـــالَفِ الـــنَّفْسَ وَالشَّـــيْطَانَ واعْصِـــهِمَا ... وَإِنْ هُمَاحَضْـــــــاكِ النُصْـــــــحَ فَـــــــاتُّهِمِ
وَلَا تُطِـــعْ مِنْهُمَـــا خَصْـــماً وَلَا حُكْمـــاً ... فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحُكْمِ»[ديوسالار، فرهاد، ختارات شعرية ونثرية من عصر سقوط بغداد إلي مطالع عصر الحديث، ص ٣٥.]

فَاتُّهِمِ: كان متهماً. وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا: لاتتبع عن النفس والشيطان لأن الشيطان عند خلق آدم قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾. [ديوسالار، فرهاد، مختارات شعرية ونثرية من عصر سقوط بغداد إلي مطالع عصر الحديث، ص٨٣-٨٢.]

فهي دعوة إلى البكاء إلى التطهير، إلى التوبة وإعلان الندم، ومخالفة النفس والشيطان، وهما وجهان لشيء واحد، هو الدنيا الفانية التي ينبغي الفرار منها والتمرّد عليها، فهي الخصم والحكم في آن، ولا خلاص من كيدهما في رأي البوصيري، الذي يبدو هنا متأثرا بنزعته الصوفية.

إستمرّ إهمال إكتمال الحكمة عمليّاً عند الأمويين ولهذا ظلّت على شكل أقوال ووصايا ونصائح نثريّة وشعريّة كما في إفتتاحية الكميت بن زيد الأسدى في قصيدة على عداوتهم لبني هاشم.

يُعرَّف شعر الحكمة بأنّه: «خلاصات نظرية تقوم على التبصّر في شؤون الحياة عامّة، وإستخلاص العبرة منها، وصوغها الصياغة الفنيّة الممكنة، التي تتمتّع بإمكان البقاء، بما يتيسّرُ لها من حقائق الفكر، والقيم الإنسانية، ومن فنّية التعبير». [أمين، أحمد؛ نجيب، زكي محمود، قصة الأدب في العالم، ج٢، ص٧٤٦-٧٤٥.]

«يضمّ الديوان لابن الوردي سبعين قصيدة وسبعمائة وتسعة عشر بيتاً وقطعة من ضمّنها نصوص الحكمة وهو ما يؤكد كثرة شعره الحكمي قياساً إلى مجموع شعره أولاً وإنّه لم يقتصر على غرضٍ واحد ثانياً.

إنّ غرض الحكمة لدى ابن الورديّ قد تشعَّب وإمتدَّ ليتناول أغراضاً كثيرة فتناسبت تناسُباً طرديّاً مع كثرة نصوصه حيث بلغت أبيات النصوص الخاصة بالحكمة بيت بإضافة الثمانية أبيات للاميته المشتبة في شرحها الموسوم ب(فتح الرّحيم الرحمن)».[ديوسالار، فرهاد، مختارات شعرية ونثرية من عصرسقوط بغدادإلي مطالع عصر الحديث، ص ٣٥.]

إنّ الحديث عن الحكمة عند ابن الوردي ظهرت لنا بأنّه خاضَ شؤون الحياة عامةً وخاصةً حلوها ومرّها وكان هدفه منها الموعظة والنصيحة والعبرة المتجسّدة في الأخلاق، والمعاملة، والتربية والتعليم و...

وكون شعره الحمكيّ قصائد، ومقطوعات، وأبيات، وتكون جميعها مستقلّة أو أن تكون أبياتاً تقلّ وتكثّر موزّعة بين أبيات القصيدة.

عصرُ الحروب الصليبية كان عصرَ المتطرف، كما نرى في:

- « شعر السهروردى(٥٨٧هـ) الذي إتّخذ مذهباً صوفياً متطرفاً فارق به رأي أهل السنة والجماعة في الدين:

صَـــــافَاهُمُ فَصَـــــفَوْا لَـــــهُ، فَقُلُـــــوبُهُمْ ... فِي نُورِهَـا الْمِشْـكَاةُ والْمِصْبَاحُ الجبوري»[الجبورى، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة٢٠٠٢م، ج ١، ص٢٠٣.]

المصباح: السراج المنير. المشكاة: العمود، الكوة يوضع فيها السراج.

المشكاةُ والمصباحُ: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ . [النور : ٣٦]

- «وفخرالدين ابو عبدالله محمد بن عمر الحسين الرازي المعروف بابن الخطيب الرّى (٥٤٤هـ). الفخرُ الرازيّ في الأصل مُفَكّرٌ، فقيهٌ، أصولي، عالم رياضيّ وطبيعي وفيلسوف. ولكنّ له معرفة بالنحو والأدب ويغلِبُ عليه شيءٌ من الزهد والتصوف. وكتُب الفخر الرازي كثيرة معظمها في التفسير والفلك، فمن كتبه: (مفاتيح الغيب)، (درّة التنزيل وغرة التأويل)، (نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز)، (غريب القرآن)، (مناقب الإمام الشافعي) ، (أسرار التنزيل)، وإلخ». [فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربى، ج٣، ص٤٤٢.]

قال الفخرُ الرازيّ في القضاء والقدر:

«نِهَايَـــــةُ إِقْـــــدَامُ الْعُقُـــــولِ عِقَـــــالُ، ... وَأَكْثَـــــرُ سَـــــعْيِ الْعَـــــالَمِينَ ضَـــــلالُ.

إِقْدَامُ:جرأة، عِقَالُ: رباط، مانع من وصول إلى شيعة عملية حاسمة.

وَ أَرْوَاحُنَـــا فِي وَحْشَـــةٍ مِـــنْ جُسُـــومُنَا، وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذىً وَوَبَالُ».[فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربى، ج٣، ص٤٤٤.]

أرواحُنا في وَحشَةٍ مِن جُسومنا:غاية أرواحنا من الوجود مختلفة من حاجات أجسادنا ولا يمكن التوفيق بينها في غاية أوحاجة. وبال: هلاک.

– «و نجمُ الدين عبدُ الرحيم بنُ إبراهيمَ بنِ المسلمِ بن هبة الله بنِ حسّانِ الحَمَويّ الجُهَنِيّ ، وُلِدَ في حماةَ سَنَةَ ٦٠٨هـ (١٢١١م) سَمِعَ من موسى بنّ عبدِ القادرومن القاسمِ بن رَواحَةَ.[فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربى، ج٣، ص٦٥٠.] تولّى القضاءَ في حماةَ بعدَ أبيه ولم يتناولّ على القضاء راتباً. وقد عُزِلَ من القضاء قبلَ مَوتهِ بأعوامٍ.

وكان ابن البارزِيّ الحَمَويّ بصيراً بالفِقهِ والأُصول وعلمِ الكلام، وكان شاعراً وُجدانيّاً مُحسِناً. ومن فنونِ شعره البديعيّاتُ والنسيبُ والملاحِم، له أُرجوزة إسمُها «مُداولةُ الأيام ومماثلة الأحكام» فيها: حياةُ رسولِ الله وتاريخُ دُوَلِ الإسلام في المشرِق والمغرب مَعَ شيءٍ من جغرافية البلادِ الإسلامية وتاريخ الدول غيرِ الإسلامية قبلَ الإسلام وبعدَه».[بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص ٢٣٢.]

قال ابنُ البارزِيّ الحَمَويّ في النسيب أبياتاً تُشبِهَ أن تكونَ غزلاً في الحجاز على الطريقة الصوفية:

«إِذَا ثِمْـــتُ مِـــنْ تِلْقَـــاءِ أَرْضِـــكُمْ بَرْقَـــا، فَلَا أَضْلُعِي تَهْدَا وَلَا عَبْرَتِي تَرْقَأ.» [فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربـــــــــــــــــــى، ج٣، ص٦٥١.]

شام البرق: (بفتح قاف) يشيمه، نظر إليه أين يظهر وأين يمطر. تَهْدَا =تهدأ. فَلَا أَضْلُعِي: المقصود قلبي يهدأ من الخفقان كناية عن الشوق إلى اللقاء. وَلَا عَبْرَتِي: دمعي، دوعي. تَرْقَأ: تجفّ، كناية عن الحزن على أنه بعيد عن أرض محبوبه وأن لا أمل له بالوصول إليها.

سَمِـــيَرَىَّ مِـــنْ سَـــعْد،خُذَا نَحْـــوَ أَرضِـــهِم يَمِينـــــاً؛ وَلَا تَسْـــــتَعْبِداً نَحْوَهَـــــا الطُّرُقَـــــا

سَمِيَرَىَّ مِنْ سَعْد: يا سميري، رفيق من بني سعد. بنوسعد كانت منهم حليمة السعدية إلي أرضعت محمداً

نبي ﷺ الله. والشعراء الصوفيون يذكرون قبيلة بني سعد في أشعارهم كثيراً للدلالة على الحجاز وعند التغزل به. خُذَا نَحْوَ أَرضِهِم: إتّجها نحو أرض بني سعد. وَلَا تَسْتَعْبِداً نَحْوَهَا الطُّرُقَا: لا تملاّ بفتح ميم مهما كانت الطريق طويلة.

«وَعُوجَـــا عَلَـــى أُفُـــقٍ تَوَشَّـــحَ شِـــيحُهُ بِطِيبِ الشَّذَا الْمِسْكِيّ أَكْرِمْ بِهِ أُفُقَا!» [فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربـــــــــــــــــــى، ج٣، ص٦٥١.]

عاج: مال إلى، إتّجه نحو، عطف رجع. أُفُقٍ: الخط الذي تبدو الارض أو البحر عنده تتصل بالسماء. إلى أفق: إلى ناحية معينة (هنا: الحجاز). الشيح: نبات زكي الرائحة يكثر في الحجاز. تَوَشَّحَت المرأة: ألقت على كتفيها وشاحاً. الشَّذَا: الرائحة.

«وَمِـــنْ دُونِهِـــم عُـــرْبٌ يَـــرَوْنَ نُفُـــوسَ مَـــنْ يَلَـــوُذُ بِمَغْنَـــاهُمْ حَـــلَالاً لَهُـــمْ طَلَقَـــا؛»

العرب (بضم العين): العرب (بفتح العين والراء). والعرب (بضم العين والراء) جمع عريب (بفتح العين): المرأة المتحبّبة إلى زوجها. لاذ بهم: التجأ إليهم. حَلَالاً: يحل النّاس، يسمح لهم به. طَلَقًا: مطلق، غير مقيد. – الملموح: إذا التجأ أحد إلى الحجاز فإنه يعيش فيه حرّاً آمناً؛ أو يقع في حب نسائه (أهله).

«عَلَـــيْكُمْ سَـــلَامُ اللهِ: أَمَّـــا وِدَادُكُـــمْ فَبَـاقٍ، وَأَمَّـا الْبُعْدُ عَـنْكُمْ فَمَـا أَبْقَـى».[فـروخ، عمـر، تـــــاريخ الأدب العربـــــى، ج٣، ص٦٥١.]

مَا أَبْقَى: ما ترک شيئاً من قوتي أو شبابي أو أملي، إلخ. وفي الجملة تضمين من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾.[سورة النجم: ٥٠-٥١.]

– «وفي آخرِ أيامِ المماليكِ كانتِ الحالُ في مِصْرَ شديدةَ الإضطراب: توالى على العرش في خَمسِ سَنَواتٍ (٩٠١-٩٠٦هـ) خمسةُ سلاطينَ كان آخرهم قانصوه بنُ عبدِالله الجركسيُّ الغُوريُّ المولود في حدودِ سَنَةِ (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)». [الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة٢٠٠٢م، ج١، ص ٥٨.]

قال السلطان قانصوة الغوري قصيدة في ذكر الأيام والليالي المباركة، منها:

«فَبِفَضْـــلِ شَـــعْبَانٍ وَلَيْلَـــةِ نِصْـــفِهِ يَـــرْوِي الصَّـــحِيحَ مِـــنَ الْحَـــدِيثِ ثِقَـــاتُ؛
وَبِفَضْـــلِ وَلَيْلَـــةِ نِصْـــفِهِ قَـــدْ فُسِّـــرَتْ فِي الـــذِّكْرِ مِـــنْ تَنْزِيلِـــهِ آيَـــاتُ:
إِذْ قِيـــلَ يُفْـــرَقُ كُـــلُّ أَمْـــرٍ مُحْكَـــمٍ فِيهَـا، وَفِيهَـا تَسْـقُطُ الْوَرَقَـاتُ»[فـروخ، عمـر، تـاريخ الأدب العربـــــــــــــى، ج٣، ص ٩٢٤.]

شَعْبَانٍ: الشهر الثامن القمرية. الذِّكْرِ (بكسر الذال المعجمة أخت الدال المهملة): القرآن الكريم. كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. [الدخان:٤ .] فِيهَا: في القرآن الكريم(في ليلة النصف من شعبان).

– «وعامر بن عامر البصري من العلويين النصيريّة (المتطرفين) فهو يقول بالإمام الغائب، ولكنّه يخاطب «الامام» (وإن كان هو يفعل ذلک في سياق من الرمز الصوفي):

إِمَـــامُ الْهُـــدَى، حَتَّـــى مَتَـــى أَنْـــتَ غَائِـــبٌ؛ فَمُـــنَّ عَلَيْنَـــا، يَـــا أَبَانَـــا، بِرُؤْيَـــةِ.
تَـــرَاءَتْ لَنَـــا رَايَـــاتُ جَيْشِـــكَ قَادِمـــاً فَفَاحَـــتْ لَنَـــا مِنْهَـــا رَوَائِـــحُ مِكَّـــةَ؛
تَجَلِّـــى لِـــىَ الْمَحْبُـــوبُ مِـــنْ كُـــلِّ وِجْهَـــةٍ فَشَـــاهَدْتُهُ فِي كُـــلِّ مَعْنَـــىً وصـــورَةِ.
وَخَـــاطَبَنِي مِـــنِّي بِكَشْـــفِ سَـــرَائِرٍ، تَعَالَتْ عَنْ الْأَغْيَارِ لُطْفاً وجلَّتْ،»[فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربـــــــــــــى، ج٣، ص٧٤٧.]

يرى الشيعة أن الإمام محمد المهدي _ الإمام الثاني عشر الغائب _ (عجّل الله تعالى فرجه) سيعود في آخر الزمان آتياً من المشرق على رأس جيش كبير فيملأ الدنيا عدلاً وقسطاً كما كانت قد ملئت ظلماً وجوراً.

خَاطَبَنِي مِنِّي: كلّمنى آتياً خطابه لى من داخلي. الْأَغْيَارِ: غير أهل المعرفة الصوفية، غير الذين بلغوا إلى الإتحاد بالله .

– «وزينُ الدين عُمَرُ بنُ مُظفّرِ بنِ عُمَرَ بنِ مُحمدِ بنِ أبي الفوارسِ ابنِ الورديّ ، وُلِدَ في مَعَرّةِ النُعمان، سَنَة ٦٨٩هـ. كان عمرُ بنُ الوردي أديباً ناثراً شاعراً، كما كان مُلِمّاً بعددٍ من فنونِ العلم والأدب من الفِقه واللُغة والنحو والتاريخ والنبات والحيوان. غيرَ أنّه إشتهر بالشّعر وبقصيدةٍ واحدةٍ إسمها اللاميةُ أو نصيحةُ الإخوان ومرشدة الخلاّن، وهي قصيدةٌ حِكميّة تبلُغُ سبعاً وسبعينَ بيت. هذه القصيدة فصيحةُ الألفاظِ واضحةُ المعاني سَلِسَةٌ عَذبة برُغمّ أنّ عدداً من معانيها عاديٌ جِدّاً، إلّا أنّها تُنَبّهُ على مُعظَمِ السيّئات التي يذهبُ الإنسانُ عادةً ضحيّةً لها في الحياة. وله رسائلُ ومقاماتٌ وعددٌ من الأراجيز». [الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ٨٦٥]

«ثمّ إنّ ابن الوردي مصنّفٌ له من الكتب: تتمّة المختصر في أخبار البشر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب. وله في الفِقه: المسائل المذهبية في المسائل الملقّبة أبكار المعاني – فوائد فقهية – المسائل الملقّبة (الوردية) في الفرائض (تقسيم الإرث)– رَجَز في أربعٍ وعشرينَ مسألةً – منظومة شهود السوء – الشهاب الثاقب والعذاب الواجب الواقع بذوي النِحَل الكواذب (ضدّ الفتوّة). ثمّ له في اللغة والنحو والشعر: مذكّرةُ الغريب نظماً وشرحُها – شرح ألفية ابن مالك – ضوء الدُرّ على ألفية ابن مُعطٍ – تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة – قصيدة اللُباب في علم الإعراب وشرحها – التحفة (النفحة) الوردية –إختصار مُلحة الإعراب نظماً – بحور الشّعر. ثمّ له عدد من الأراجيز في موضوعاتٍ مختلفة: أرجوزةٌ في تعبير الرؤيا (تفسير المنامات) – أرجوزة في خواصّ الأحجار – منطق الطير – البهجة (التحفة) الوردية في نظم الحاوي (نظم كتاب (الحاوي الصغير) لنجم الدين عبد الغفّار بن عبد الكريم القزويني المتوفّى ٦٦٥هـ ، و هو كتاب في الفقه الشافعي. وكذلك له عددٌ من المقامات: مقامة في الطاعون العامّ – مقامة الصوفية – المقامة الدِمَشقية المُسمّاة صَفوَ الرحيق في وصف الحريق (حريق دمشق)». [الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة٢٠٠٢م، ج١، ص ١٤٧.]

«أُطْلُبُ الْعِلْمَ بِمَاخَيْرُ الْمِلَلْ أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ
وَاحْتَفِلْ فِي الْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تُشْتَغِل عَنْهُ بِمَالٍ وَحَوَل» [الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة٢٠٠٢م، ج١، ص ١٤٧.]

إحْتَفِلْ: إجتمعوا بتكريمه. حَوَل: الراعي الحسن القيام على المال.

هذه الأبيات إشارة إلى: ١– الحديث الرسولﷺ الذي قال: أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، وأيضا قال: طلب العلم فريضة على كل مسلمٍ ومسلمةٍ. و٢– لزوم الإجتهاد في الفقه والدين على المسلمين، وتكريمه فرض عليهم.

أن للقرآن والحديث والفقه مكانة خاصة لدى المسلمين عامة، والعلماء والأدباء خاصة فهو خير منهل لكل عالم وأديب، يستقون منه ماشاعوا. وقد نرى أثر ذلك عند بعض الشعراء والأدباء في نتاجهم الأدبى. على سبيل المثال، قد أثّرت في ديوان الشعراء على نماذج إقتبس من الآيات القرآنية في أشعاره. وإستخرجت ما كان في وسعي في ديوانهم.

جامعة آزاد الإسلامية في كرج، كرج ، ايران.

Islamic Azad University Karaj Branch,Karaj,Iran.

العنوان المقال: تطور الحكمة في العصر المملوكي

Title: Progress wisdom in Mamluk era

الأستاذ المشرف الدكتور فرهاد ديوسالارالأستاذ بجامعة آزاد الإسلامية في كرج:Email divsalarf@yahoo.com .
الطالبة :زهرا داود نجاد خريجة في مرحلة ماجستير بجامعة آزاد الإسلامية في كرج، كرج ، ايران.

فهرس المراجع و المصادر

القرآن الكريم

ابن المعتز، عبدالله ، البديع، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، بيروت، ١٩٤٥ م.

أمين، أحمد؛ نجيب، زكي محمود، قصة الأدب في العالم ،لاطا، مصر.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامي، بلا تاريخ.

الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة٢٠٠٢م، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

الجمال، أحمد صادق، الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٦ م .

الحموي ، ابن الحجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت، بلا تاريخ.

دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، منشورات مركز دائرة المعارف بزرگ إسلامى.

ديوسالار، فرهاد، مختارات شعرية ونثرية من عصرسقوط بغدادإلي مطالع عصر الحديث، چوک آشتيان، ايران، ١٣٨٧ ش .

طه حسين، بک، حديث الأربعاء، الناشرالكتاب، ١٣٦٤.

الفاخوري، حنّا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب في الأندلس والمغرب أدب الإنحطاط، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

فروخ، عمر، تاريخ الادب العربي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى ١٩٧٩م.

الزبيدى، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، محقق شيرى، على، الناشر دار الفكر، بيروت.